تاريخ علم المشرقيات العربية

اللغة العربية في المملكة الروسية

(تتمة ما سبق في الجزء الماضي)

اما الاساتذة المشتغلون باللغة العربية في جامعة بتروغراد فقد عرفت منهم الاستاذ مرّ وتحققت ان له اطلاعاً على اصول اللغة دقيقاً ومعرفة واسعة باخبار ادبائها وعلمائها من قدماء ومحدثين والاستاذين البارون روزين المذكور آنفاً وشميد وكلاهما ذو علم غزير، وفضل كبير ومؤلفات مفيدة — ووطنيُّنا الاستاذ وهبه خشاب من ميناء طرابلس الذي ألف كتاباً في صرف اللغة العربية لتلقينهـا للروس — والاستاذ اغناطيوس كراتشكوفسكي الذي كان قد أتمّ دروسه في قسم هذه الجامعة الشرقي وهو في مقدمة أترابهِ الطلاب فأرسلتهُ الجامعة على حسابها الى الشام حيث استأنف درس اللغة العربية مدة ثلاث سنين في كلية اليسوعيين ثم عاد الى بتروغراد فترجم ديوان ابي الفرج الوأواء الدمشقي وطبع الترجمة مـع المتن العربي وصدر الكتاب بمقدمة باللغة الروسية تنيف على المئة صفحة بحث فيها بايجاز عن آداب اللغة العربيـة وشعرها وغير ذلك والتزم المحافظة على المعنى اللغوي في ترجمته وعرضه على مجلس الاساتيذ لينال بهِ لقب استاذ باللغة العربيـة فعيَّن المجلس لانتقادهِ جهلةً حافلة

---

(١) وقد وصف البلغاء المتقدمون الماء بالرقة : قال ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة ابي علي العسقلاني (هو احد البلغاء وصاحب الرسائل المدونة المشهورة) ومن قوله فيها (أخلاقه من الحسن أدق . ومن الماء أصفى وارق)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حضرها جمهور كبير من الروس وغيرهم وكنت انا في جملتهم ايضاً وكلف الاستاذين شميد وفرّ بانتقاده فأبدى له كلٌّ منهما انتقاداته وملاحظاته التي كان قد أعدها من قبل واقتدى بهما من كانت له مقدرة على الانتقاد من الحاضرين فأحسن في الجواب واجاد في غالب الامر واحرز بالاستيجاب لا بالاستحباب لقب استاذ في اللغة العربية ولا يزال قائماً بهذه الوظيفة الى الآن . وله كتابات شتى باللغة الروسية موضوعاتها عربية وهو يتكلم لغة العامة العرب وكثيراً ما كنا نتزاور فاستعير منهُ كتباً عربية من مكتبته الفنية تكون بي حاجة اليها ونتذاكر في مسائل علمية ولغوية مختلفة فالرجل واسع الاطلاع كبير الفضل .

وقد خدم اللغة العربية في بتروغراد المرحوم سليم نوفل من مدينة طرابلس الشام ايام كان موظفاً في نظارة الخارجية على عهد آل رومانوف وقد تعرفت الى اولاده واحفاده فاذا بهم جميعاً قد تروّسوا اي صاروا روسيين ونسوا لغة آبائهم العربية . وقد اشترى منهم في هذه السنة امام المسلمين في بتروغراد السيد موسى جار الله كتباً عربية رأيت في جملتها كتاب « اشعر الشعر » مخطوطاً خطاً جميلاً جداً بيد ناظمهِ المرحوم رزق الله حسُّون الحلبي وكتاب « سلوان الشجي في الرد على ابراهيم اليازجي » مطبوعاً في مطبعة الجوائب في القسطنطينية وغيرها من الكتب النادرة .

ولاستاذي الشيخ العلامة يوحنا بن غفرئيل تروبتسكي استاذ اللغة العبرانية في كلية بتروغراد اللاهوتية معرفةٌ باللغة العربية وهيام بها فانه كان يدعوني الى زيارته فآتيه في المساء فنقرأ القرآن وغيرهُ من كتب العرب وكان هو يتحرى التدقيق في تفهم الآيات ومقابلتها بآيات التوراة والانجيل ولم يكن يُشكل عليه معنى آية الاّ كشف عنه في التفاسير العربية في مكتبة الامام موسى جار الله كما جرى له حين التبس عليه قوله « وكان ابراهيم أُمة » وغيرهُ من الآيات .

و يعرف اللغة العربية السيد لطف الله وهو احد ائمة المسجد الكبير في بتروغراد الذي بناهُ امير بخارى على حسابه الخاص بناية بديعة الصنعة عربية الهندسة وجعل قبته من الفسيفساء ولم يفتح لإقامة الصلاة الاّ منذ بضع سنين . وكان هذا قد هبط مصر وصرف فيها اعواماً ثم رجع الى بتروغراد وانشأ مدرسة لتعليم اولاد المسلمين لغتهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التربية والقرآن واصول الدين وقد زرته فيها مراراً فارتبطنا بصداقة وثيقة ومودة صادقة

اما امام اللغة العربية في منطقة العجم الشمالية فهو الشيخ العلامة موسى افندي جار الله شيخ أئمة الجامع الكبير في بتروغراد فان له معرفة واسعة بعلوم اللغة واصولها وبصرفها ونحوها وبيانها وقريضها فضلاً عما كُتب بها في علم المنطق والحكمة والكلام والفلك والتاريخ وكتباً في اصول قراءة القرآن وتفسيره فلا تكاد تُذكر امامه مادة من مواد اللغة الاَّ اجابك على الفور عما اذا كانت قد وردت في القرآن ام لا وكم مرة وردت وفي أية سورة لانه مستظهره أتم الاستظهار . وقد قصد بلاد العرب وجاور في مكة ثلاث سنين وعرّج في عودته على مصر والشام . وقد اخبرني انه ذهب من بيروت الى دمشق ماشياً لضيق ذات يده ايامئذٍ . ولما رجع توطن بتروغراد وانشأ فيها مطبعة خدم بها اللغة العربية والفارسية والتترية والتركية والروسية خدمة مفيدة لبراعته في جميعها الاَّ ان حكومة الصعاليك غصبتهُ اياها بعد الفتنة فيما غصبت من اموال العباد وقد اكسبتهُ مؤلفاته شهرة بعيدة ومقاماً محترماً بين مسلمي الروسية وبلاد الافغان وتركستان وبخارى وخيوى والهند وتركيا خاصتهم وعامتهم . وما انسى لا انسى ايام تعرفي في منزله العامر الى افاضل من هذه الامم وتعرفهم هم اليَّ كالشيخ بركة الله طريد الانكليز والشيخ عبيدالله مولوي صاحب تفسير القرآن بلغة الاوردو الهندية . وقد عهد اليّ في الحقبة الاخيرة من العشر سنين التي كنت اختلف في خلالها الى داره تهذيبَ ثلاثة من اولاده المرشدين وهم مريم وزينب ومحمد كما انه دعاني في شهر ايار من هذه السنة الى مصاحبته الى موسكو فحضرنا فيها جلسات مجمع الكهنة الثائرين على البطريرك تيخون الروسي وكتبتُ انا باقتراحه تاريخها فهو لا يزال مخطوطاً في ما يربو على مئة وثلاثين صفحة كبيرة . وبعد عودتنا الى بتروغراد سافر هو الى اوفا ليشترك في انتخاب المفتي منتدَباً عن مسلمي بتروغراد وضواحيها وبلاد فينلنديا الخاضعين لرئاسته الروحية وانا الى فينلنديا وكان ذلك عهدي الاخير به . ولا بدَّ لي من ان الاحظ للقارئ الكريم ان هذا العلامة لا ينطق الاَّ بالعربية الفصحى ويأنف كل الانفة من النطق بالعامية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنه انشأ في هذه السنة كتاباً باللغة التركية بحث فيه عن علاقة المسلمين بالثورة الروسية الاشتراكية طبعهُ له في برلين اثنان من وجهاء المسلمين في فينلنديا على نفقتهما وهما السيدان زينة الله احسن في مدينة تمرفورس وحسن نظر في هياسينغفورس ووقف ريعه على يتامى الجنود التركية الذين قتلوا في ساحة الحرب الاخيرة ذوداً عن ذمارهم . وهذا عنوانه « اسلام ملتلرينه — دينى ادبى اجتماعى سياسي مسئله لر تدبير لرحقنده — شاتلى تورك عسكرى شرفينه تأليف فيلندي » ولكن لم يظهر هذا الكتاب في روسيا حتى سيق صاحبه الى السجن والله اعلم بما سينتهي اليه امره .

وُيعنى الروس باللغة العربية في كلية كازان اللاهوتية تهيئة للمرسلين وقد اجتمعت في بتروغراد باحد اساتذتها وهو وطنيُّنا الغيور «بندلايمون جوزه» من القدس الشريف له معجم رومي عربي وترجمة نبذة من مخطوط للبطريرك الانطاكي المرحوم مكاريوس الحلبي ابن الزعيم يصف فيها عوائد الكرجيين واحوال بلادهم وقد طبعها المترجم باللغة الروسية مع المتن . وكتاب في صرف اللغة العربية في جزئين لمساعدة الروسيين الراغبين في تعلم لغة العرب . وكتابات شتى باللغة الروسية مدار معظمها المناظرة في الدين واللغة

وفي موسكو يهتم الروس باللغة العربية في المدرسة المسماة « لازار يافسكي انستيتوت» وهو اسم آل اكيم بن لعازر لازار ياف الارمني الذي أسسها سنة ١٨١٥ لتعليم اولاد الارمن لغتهم ثم طارت شهرتها في تركيا وبلاد فارس والهند وسنة ١٨٣٧ اعتبرت من الطبقة الثانية بين مدارس الدولة واعطيت حقوقها وخصص فيها فرع للعلوم الدينية سنة ١٨٤١ بسعي البطريرك الارمني ثم فرع تجاري . وفيها تدرس اللغات الاسلامية والارمنية والقوقاسية واخيراً انحصرت غايتها في موظفين وتراجمة للشرق الأدنى وسنة ١٨٩٢ أُدخل فيها علم الحقوق (راجع خطاب كانانياف في تذكارها الخمسيني سنة ١٨٦٥ وخطابه في تذكارها السبعيني سنة ١٨٩١ »

وقد علَّم اللغة العربية في هذه المدرسة وطنيُّنا المرحوم الجنرال جرجي مرقص الدمشقي الذي ترجم رحلة البطريرك مكاريوس الحلبي المذكور ومعلقة امرئ القيس الى اللغة الروسية وطبعهما مع رسائل أُخرى ولا يبرح يدرّس فيها وطنيُّنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفاضل السيد ميخايل يوسف عطايا الدمشقي صاحب المعجم العربي الروسي وكتاب الصرف العربي لتعليم الروسيين لغتنا ومجموعة منتخبات في تاريخ اللغة العربية وآدابها مطبوعة بالحجر ثم بالحروف في مصر وهو الذي وكلت اليه حكومة الصماليك ترجمة شعارها فترجمه هكذا : « يا صماليك جميع العالم اتحدوا » فطبعته على وريقة مالية قيمتها الف روبل مع نصه الروسي وترجماته :الالمانية والانكليزية والفرنسية والايطالية والصينية نشراً لدعوتها الا انها لم تلبث ان رمته بالخيانة في ترجمته كلمة « بروليتاري » « بالصماليك » وهمت بمحاكمته لو لا ان أفتاها علماء كازان المسلمون في هذه المسألة مصوبين الترجمة وانقذوه من هذا المأزق المهلك . وقد رحب هذا الاستاذ بغبطة امام اخبارنا السيد البطريرك غريغوريوس حداد الرابع الكلي الغبطة الذي زار هذا المعهد العلمي سنة ١٩١٣ بخطاب عربي حسن السبك محكم التركيب . وقد اخبرني لما زرته في صحبة الامام السيد موسى جارالله في شهر ايار من هذه السنة ايام كنا في موسكو ان حكومة الصماليك صادرت املاكه وعروضه التي جناها بعرق جبينه فهو الآن يمضي سحابة عمره مقتراً على نفسه وعلى زوجه . وفي هذه المدرسة يتولى تدريس اللغة العربية ايضاً الاستاذ الكبير كريمسكي المشهور بسعة اطلاعه وكثرة مؤلفاته باللغة الروسية التي تكاد تكون مكتبة صغيرة وقد بحث في جلها عن موضوعات عربية لغوية ودينية وتاريخية ونحوية وبيانية وانتقادية علمية ونحا في جميعها منحى التدقيق والتحقيق فأبان عن غوصه على الحقائق . واستيعابه للدقائق . وذكائه الخارق واصبح للروس مرجعاً في لغة العرب

ويخدم اللغة العربية في نظارة الخارجية الآن في موسكو وفي جامعة هذه العاصمة ابو سعيد العربي الذي التقيته فيها فأخبرني انه كان يصدر في القسطنطينية صحيفة اخبار سياسية باللغة التركية وان حكومة الصماليك افتدته من أسر الانكليز ايام تبادلها واياهم الأسارى ووظفوه فيما ذكر . ومعرفته اللغة العربية كافية وافية وهو فيما اظن من الهنود الا انه لا يطرب الا اذا نعته المتكلم « بالعربي » ويعرف اللغة العربية في موسكو معرفة مرضية السيدان عبد الودود وعبدالله وكلاهما امام لمسجد فيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي كازان واوفا نخبة من افاضل المسلمين يعرفون اللغة العربية فيهم المتمكن الامكن والمتمكن الغير الامكن ولهم في ولاية كازان مدرسة الائمة وتعنى بعلم الكلام والفلسفة والمنطق وليس لهم من مدرسة البتة الا يدرس فيها القرآن والحديث . ومن نزل من العرب ضيفاً على المسلمين هنالك خيّل اليه انه في منزل عربي ودهش لشدة احترامهم للناطقين بالعربية وحفاوتهم بهم وظن انهم يقصون حقاً لهم عليهم وأخذته المهابة من تخشعهم ونقواهم اذا تليت عليهم آيات القرآن فهموها أم لم يفهموها . وكثيرون من اغنيائهم يولمون الولائم الحافلة خصوصاً في رمضان ويدعون اليها الفقراء والمعوزين ويحسنون اليهم تزكية لأموالهم وشكراً للرحمان على نعمه ولا يسمون انفسهم الا باسماء عربية بحتة كمحمد واحمد وجمال الدين وشمس الدين واسماء وهند وصفية ورحمة وغيرها ولكنهم يلحقون بأواخر اسمائهم امرهم نهاية روسية كمقصودف واحسنوف ومحمودف ولا تتحجب نساؤهم في المدن وانما يجانبن مخالطة الرجال في اجتماعاتهم الرسمية فينفردن وحدهن في الضيافة مثلاً

ولما كانت بلاد فينلنديا قد خضعت للمملكة الروسية قرناً وربع قرن وعُنيت باللغة العربية في خلال هذه المدة عناية مهمة كان من الواجب عليّ ان اذكر شيئاً عن حركتها العلمية هذه الا انني أحيل القارئ الكريم على مقالة الاستاذ السيد يوحنا اهتنين كرسكو «لغة العرب في حياة فينلنديا العلمية» المطبوعة في الجزء التاسع (المجلد الثالث) من مجلة المجمع العلمي العربي وافيده انني رأيت في القسم الشرقي من مكتبة جامعتها في هيلسينغفورس عدداً وفيراً من الاسفار العربية النادرة ومخطوطات اهمها آثار الاستاذ المرحوم عبدالولي (ولين) . وان امام المسلمين في هذه العاصمة السيد ولي احمد حكيم يعرف العربية معرفة لائقة بمقامه وكان قد أتى مصر وقضى فيها نحو ثلاث سنوات وله خط جميل وتجويد منعش ويقاربه في معرفته هذه السيدان زينة الله احسن وحسن نظر المذكوران آنفاً

هذا ما وعته الحافظة وأملته الذاكرة وإن هو في اعتقادي الا قليل من كثير وما أخالني راكباً متن الغلو ولا معتلياً ظهر الغرور اذا جزمت بأنه لم تقم في الارض امة أثّرت في البشر تأثير العرب بعد الاسلام . فانهم لم يحلّوا في ارض الا تركوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيها لغتهم ودينهم او على الأقل عوائدهم ورضيّ اخلاقهم . وما من امة اعجمية دانت بدينهم الاّ اشتدّ بها النزوع الى تعلم لغتهم والتمسك بآدابهم . فما الفضل في هذا الاّ لحكمة الشارع العربي وبلاغة القرآن الحافظ لعربية اللغة العربية الوثقى من الانفصام فهي ستدوم بدوامه منزهة عن كل تحريف وتصحيف وستبقى ما بقي الاسلام وقام في العباد عشاق للبلاغة وانصار

دير النبي الياس شويا (لبنان) ارشيديا كون البطريركية الانطاكية

نوصا ديب المعلوف